مقطوع من شجرة!

جاء من الصعيد منقولًا إلى مديريتنا، وكان يشغل وظيفة «عضوٍ قانونيٍّ» في إدارة الشئون القانونية..

على مشارف الأربعين من عمره، ممتلئ الجسم، قمحي اللون، عسلي العينين، خجول، خفيف الظل، عذب الحديث..

انتقى لنفسه مجموعة من الأصدقاء من خيرة العاملين بالمديرية، أما عن الآنسات والسيدات فكن (يموتن في دباديبه!).

والحق إنه كان دمث الخلق، لا تخرج من فمه العيبة.

وعندما تحاول معرفة أي تفاصيل عن أسرته أو عن عائلته أو حالته الاجتماعية، كان يتهرب من الإجابة، ويبدل الكلام بكلام آخر، ولا يدلي بأي بيانات شخصية.

وكنا نتقابل معه في المساء بعد مواعيد العمل، وكنا نعزمه على الغذاء أو العشاء، فكان يلبي الدعوة دون تكليف، خاصة وأن معظم زوجاتنا، زميلات له في العمل، وكن يرحبن به أيما

ترحيب، وكان من جانبه يحاول أن يرد لنا هذه (الجمايل) بطريقة أو بأخرى.

وكان البعض يرشحون له «عرايس» من الزميلات، ولكنه كان يرفض فكرة الزواج بشدة، ويرجو منهم عدم الحديث في هذا الموضوع على الإطلاق..

كان يقيم في شقة متواضعة بأحد الأحياء الشعبية، والجيران أيضًا أحبوه وفعلوا معه المستحيل (ليكمل نصف دينه)، وكانوا يرشحون له بنات (على الفرازة) وأصغر منه بسنوات، ولكنه كان يرفض رفضًا باتًا دون إبداء أسباب، لدرجة أنهم شكوا في أشياء أخرى!

وما كان من فتيات الجيران إلا القيام بخدمته لوجه الله تعالى دون هدف أو مصلحة نظرًا لذوقه وأدبه.

ومن حين لآخر كانت تزوره سيدة غاية في الحسن والجمال وتصطحب معها طفلة جميلة، ولم يعرف الجيران من تكون ولماذا تزوره.

وذات مرة زاره أحد زملائه في العمل فوجدها عنده، فلم يعلق على شيء، وشرب الشاي وانصرف..

ولكنه سرعان ما نشر هذا الخبر في المديرية، فاستقبله الزملاء

في اليوم التالي بفتور ونظرات مريبة، ولكنه تجاهل ذلك، ولم يفاتح زميله الذي نقل إليهم هذا الخبر أو يعاتبه، ولكنه كان يرمقه بنظرات غضب ملحوظة دون أن يتكلم..

وكان كل مدة يحصل على إجازة بحجة زيارة أصدقاء له بالقاهرة وقضاء بعض الوقت معهم.

وذات يوم سأل عنه في الحي الذي يقطن به رجل ضخم يرتدي الملابس البلدية، وعلى كتفه «لاسة» من الحرير، صوته غليظ وعيناه جاحظتان، ولهجته صعيدية..

سأل عنه الكوَّاء والبدَّال والخضري، وتأكد من عنوانه، وانصرف إلى حال سبيله.

ومرة أخرى فعل نفس الشيء رجل آخر، لدرجة أن الجيران شكوا في أنهما من رجال المباحث!

ولكنه رجل مستقيم ومؤدب، ولم يحدث منه ما يسيء إليه، ومن البيت للشغل ومن الشغل للبيت، واحتاروا في أمره قائلين لبعضهم البعض:

- الراجل ده وراه سر غامض.

وكان عند خروجه من المنزل أو عودته إليه، يلقي التحية على

كل من يصادفه في الطريق دون سابق معرفة.

وعندما يصادف سيدة أو فتاة ولو حتي من جيرانه، يدير وجهه الناحية الأخرى.

ومرة أخرى زاره رجل بسيارته المرسيدس السوداء (ملاكي قنا)، وكان يرتدي الملابس البلدية أيضًا، وكان يبدو عليه أنه عمدة (أو حاجة زي كدة)، وبات عنده ليلة واحدة ثم رحل عند بزوغ الفجر.

وبعد هذه الزيارة بيومين، ترك الشقة واستأجر شقة أخرى بأطراف المدينة.. وتقدم بطلب إلى مدير المديرية لنقله إلى محافظة أخرى.

ولم يعرف زملاؤه أنه ترك الشقة، إلى أن توجه أحدهم لزيارته في المساء فلم يجد أحدًا بالشقة..

وأخبره الجيران أنه ترك الشقة، فسألهم عن سكنه الجديد فقالوا: لا نعرف عنه شيئًا..!

وانتشر هذا الخبر أيضًا في المديرية، ولكن أحدًا لم يعرف عنوانه الجديد، كما علموا بأنه تقدم بطلب نقل من المديرية لإحدى المحافظات الأخرى.

وفجأة تغيَّب عن العمل حوالي أسبوع دون الحصول على

إجازة، وحاول زملاؤه الوصول لعنوانه فلم يتمكنوا من ذلك.

وذات صباح لاحظ السكان الجدد، انبعاث رائحة كريهة من شقته، ولما ضغطوا على الجرس عدة مرات، ولا من مجيب، قاموا بإبلاغ الشرطة.

وسرعان ما امتلأ الشارع بسيارات الشرطة والإسعاف، وكسروا الباب، فوجدوه ملقيًا على ظهره بحجرة النوم غارقًا في دمائه.

وصرّح بعض الجيران بأنهم سمعوا صوت طلق ناري ثلاث مرات قُبيل الفجر منذ بضعة أيام.

وجال وكيل النيابة بعينيه بين الحاضرين بعد المعاينة وسألهم:

- حد منكم يعرفه؟ حد قريبه؟

فلم يجبه أحد، وهمس الواقفون بعضهم لبعض:

- ده لازم عليه (تار).

ومصمص آخرون شفاههم قائلين:

- ده باين عليه مقطوع من شجرة.

وأمر وكيل النيابة بنقل الجثة، بعد أن لفها أحدهم بملاءة السرير والدم ينضح منها، إلى المشرحة لمعرفة سبب الوفاة وحفظها

بالثلاجة لحين ظهور من يتسلَّمها.

وبعد يومين حضر الرجل صاحب السيارة المرسيدس السوداء، وبعد التحقق من شخصيته تم تسليمه الجثة وتصريح الدفن. واتضح أنه الصديق الحميم للمجني عليه.